معهد مولاي الحسن

دراسة سلالات شمال افريقيا

بقلم خوليو كـولا البريك استاذ
في جامعـة مـدريـد ورئيس قسم
معهـد «برناردينو دي شـاهكون»
لـدراسة الانـسـان والسلالات في
المجلس الاعلى لـلابـحـاث العلمية

محاضرة القيت يـوم 31 مـارس 1947 في قـاعـة المحاضرات
بنيابـة التربـيـة والثقافـة بتطوان

تطوان 1948

obeikandl.com

obeikandl.com

دراسة سلالات شمال افريقيا

obeikandl.com

obeikandl.com

ترجم هذه المحاضرة الى اللغة العربية
الاستاذ نجيب ابوملهم عضو مكتب
الترجمة الاسبانية العربية بنيابة الامور الوطنية

obeikandl.com

obeikandl.com

ان دراسة السلالات البشرية التي استوطنت المغرب قبل دخول الإسلام وكل ما يتعلق بتلك الشعُوب من عوائد وطرق معيشة لهي مورد غزير حافل بالموضوعات العلمية استرعى دائما وابدأ انتباه البحاثة الكبار في سائر العصور والازمان.

فمن اوجه مختلفة ننظر بجلاء العروة السلالية التي تربط شعوب المغرب بشعوب شبه الجزيرة الايبيرية وهذه حجة اخرى تضاف الى غيرها من الحجج التي جاءت مؤيدة للحقيقة الناطقة بهذه المنطقة المترامية الاطراف التي ندعوها «هيسبيريا» اقتداء بالتسمية الموفقة التي خلعها عليها عالمنا الكبير ضون ادواردو هرنانديث باتشيكو.

وتوجد فعلا في منتوجاتها المادية في المسكن في الزينات الجسدية وفي صناعة الادوات الخزفية الخ وتلاحظ كذلك في المبتدعات الفكرية والروحية منها: في العبادات و في الخرافات والطقوس السحرية نتيجة شحذ مخيلاتهم في عالم ما فوق الطبيعة والكل من هذا طابع مميز يجعلنا نلمس تلك الثقافة المقتصرة الخاصة التي بدورها تتصل اتصالا وثيقا بغيرها من الثقافات الهسبيرية فلذا استحال تحليل مجموعة الاوجه المتفرعة المتنوعة تحليلا مفصلا فاضطرارنا الاقتصار في الوقت الضيق للمحاضرة على طائفة منها سنوجه عنايتنا الناحية الروحية التي ما زالت حية في خلال معتقداتها الوجدانية حيث انها ترتسم على عدة اعمال ذات قيمة سلالية كبرى.

وبهذه الكيفية نقدم صورة عن اساطيرهم وسحرهم وخرافاتهم التي اجمالها لها مميزات شخصية فذة تكفي وحدها لمعرفة الثقافة التي تنتمي اليها بسهولة.

العوامل البيئية

تدخل في نطاق دراسة السلالة البشرية العلاقات الوثيقة القائمة بين الانسان والمحيط الطبيعي الذي يدور به. واما تاثيرات المحيط فيصح ان تكون مباشرة او غير مباشرة ومن عملها الخطير تتولد نتائج فادحة بالنسبة السكان الادميين لحد ما في الوقت الحاضر ان الجغرافية على النمط المعروف لدراسة الانسان من حيث هو جسديا واخلاقيا بالنسبة للمكان تتطلب المكان كمحور مرشد لدراسة الانسان الحيوية والاخلاقية من حيث هو. فهذه التاثيرات تحدد الاوجه الخاصة بمقوماتها العادية كما وانها تطبع ميزات خاصة في نفسية الانسان. وهذا يلاحظ في توزع الكتل البشرية على سطح الارض توزعا يحصل وفقا لامكانيتي الوسط المناخية والاقتصادية فالصحارى والبلدان ذات الاراضي البيضاء القاحلة يستوطنها اقل عدد ممكن من البشر في حين ان الاراضي الخصباء والموانى من بحرية ونهرية والاراضي ذات المناخ المعتدل والتي قرها متوسط الاعتدال تطلع علينا بنسبة قصوى من حيث عدد السكان.

ومن العوامل الجغرافية المختلفة التي يمكن اعتبارها لدراسة السلالة البشرية لاحدى البلدان وصف طبيعة الجبال نظرا للدور الهام الذي تلعبه. ولما كانت تحدد كثيرا من ميزات الانسان من حيث هو جسديا واخلاقيا بالنسبة المكان فتطبع طابعها القوي على طرق حياته العادية المحضة منها نجم ان المسكن تاثر بها بنوع خاص، فمن هذا في المناطق الجبلية المغربية عدم وجود البناءات الشاهقة او الضخمة الحجم التي انما توجد في السهول الفسيحة، ولا نعثر كذلك

في انفراجات الاودية على كتل كبيرة من السكان ومثل هذه الاعتبارات فانها تقتصر على الجهة الشمالية من المغرب(١)

وتستند عوامل رئيسية اخرى الى دراسة الجغرافية المائية. فتاريخ سائر العصور يلمع بصفة قانون عام الى ان المدنيات الكبرى لاقت مهدها ومركزها الوسيط السطحي حول المجاري المائية الكبرى سواء كانت المحيطات والبحار او الانهر الكبرى.

ووفقا للدراسة السلالية فكل تاثير العوامل المشتركة المتناوبة بين الانسان والوسط الذي يعيش فيه ينطبع بصورة خاصة على طريقة الحياة واللباس الخ. وصفوة القول فكل شيء يظهر طابع الوسط الذي يعيش فيه الانسان.

فالثقافة في حد ذاتها يمكن ان تعتبر ايضا كنتيجة لعمل الانسان لينال من الطبيعة ما لم تقدمه له عفوا فلهذا السبب تزدهر عادة في اماكن خصبة للغاية تنخفض الى ادنى حد المجهود البشري ويقول «كربس»(٢) ان الانسان يضع في وجه الطبيعة اراده وعملا مغتنما الامتيازات التي تقدمها له محاولا تقليل العوائق

---

(١) راجع خوليو كولا البريك (Julio Cola Alberich) في «الدراسة السلالية للمغرب» منشورات معهد مدريد سنة ١٩٤٦ وابحاث للمولف ذاته في «شذوذ في المسكن الاهلي المغربي» مجلة العلوم لجمعية تقدم العلوم العدد ١١ رقم 2 مدريد (T. XI núm. 2) مدريد سنة 1946 . مدريد «الدراسة السلالية للمسكن المغربي في مجلة افريقية لمعهد الدروس الافريقية. عدد ابريل. مدريد ١٩٤٧ و «المسكن البدوي المغربي موريطانيا عدد ٢١١. طنجة خونيه ١٩٤٥

(٢) Krebs

وهذا ما يفعله حتى الشعوب الهمجية اذ يمكن ان يقال بوجود ثقافة مهما كانت اولية منذ الآونة التي عرفت فيها الكتلة البشرية ان تطبق حياتها على الطبيعة

وتظهر الطبيعة لدى هذه البحوث كشيء لا يتحور بالنسبة الى الحياة البشرية ولقد بسط الانسان سلطانه على الارض وانتفع من الامتيازات دون ما حدود سوى التي تفرضها عليه بنيته. وليس الميزة الجسدية هي كل شيء في تكوين الافكار الا انها عامل جبار يساعد على تاصل انواع ثقافية معينة. وفي المقتصرة على المغرب فلنقل ان لعوامل المحيط اهمية بعيدة الاثر.

وللعوامل المناخية رتبة فوق الممتازة في تنسيق مدى درجات التاثير. فالعصر الجليدي كان الحافز للبشرية التي كانت لذلك الحين مكتظة في منطقة ضيقة ان تنمو وتنتشر انتشارا فائقا وكانت افضلية الاختيار تقع دائما وابدا على الاراضي المنعرجة والجبلية سواء كانت ناشفة او مغطاة بالادغال الغير كثيفة ذات القعر المعرض للرطوبة وسهل غمرها بالماء من الاودية في حال ان القيظ المفرط يرسم عدم اهلية البلاد للسكنى كما هو حاصل في الصحاري الافريقية.

والحياة البدوية التي كانت منتشرة فيما مضى في المغرب في كثير من المناسبات يرجع مصدرها للتاثرات البيئية وكانت البداوة الى عهد قريب قاعدة عامة لحياة كثير من جماعات الشعوب الافريقية ولم تقتصر على الرعيان والصيادين فحسب بل تعتدتهما ايضا الى المزارعين. والعامل المهم الذي يحددها هو فعل العوامل البيئية وبالاخص نفاذ موارد التربة او جفاف موارد الثروة السابقة الوجود (اضمحلال صيد الاسماك والقنص الخ.)

وتوجد حالات يكون السبب فيها مخالفا كما يحصل الكثير من الشعوب التي تهجر اماكن اقامتها لخوفها من الارواح الشريرة التي تسكن

مقاطعتها ولا تعدم كذلك الاسباب الحربية التي تدفعهم الى الهجرة من جراء ضغط العشائر المحاربة المجاورة المستقوية . فلذا سبب الحاميُون الشرقيون وشعوب النيل في زحفهم من الشمال الشرقي نزوحات السود نحو الجنوب والجنوب الشرقي. وعند وسترمان(١) يرجع للنزوحات الفضل في تكوين دول الحمى(٢) في ناحية البحريات الكبرى. وفيما يرجع الى المغرب فالحروب سببت تنقلات في السكان واسعة خلال العهود المتقدمة للاسلام. فتكون اول اشارة في التاريخ المكتوب عن الريف هي كتابة نقشت على قبر العائلة المالكة الثامنة عشر(٣) تتعلق بغزو من مصر آنذاك قامت به جماعة ليبية عرفت باسم مشاوشة(٤) الذين غزوا الطاحينو(٥) وهم الليبيون الوحيدون الذين اعتادوا مجاورة المصريين(٦) فجندوهم تحت امرتهم لغزو مصر.

وكان انتشار العبيد في افريقيا بعد البرجمانيين وقبل الحاميين(٧) وتجنبوا في بادئ امرهم الادغال ذات البيئة الغير مناسبة الحياة غير انهم فيما بعد وجدوا انفسهم مضطرين الى ولوجها تحت ضغط شعوب اخرى. ويصح فقط في مثل هذه

---

(١) الدكتور ديتريش وسترمان في «نزوحات الشعوب في افريقيا» بحث ونقد (عدد ٥ = ٦ - سنة ١٤» مدريد ١٩٤٣ Dr. Dietrich Westermann.

(٢) Himas

(٣) اوريك باتس Oric Bates «The Eastern Libyans» p. 211 Londres 1914.

(٤) Mashausha

(٥) Tahennu

(٦) غستون ماسبيرو Gaston Maspero «the Struggle of the Nations» Londres 1896

(٧) Camitas

الحالات وغير ذلك من الدواعي القاهرة ان يقع الاختيار على اماكن قاية الصلاحية لنمو الثقافات الزاهرة.

واما فيما يعود الى المغرب فالتاثيرات البيئية تبلغ حدا عمليا يقف في الاستبداد فطبيعة البلاد الجبلية القاسية والوسط الجيلوجي والنباتي هما عاملان جباران يحددان كثيرا من ظواهر ساكنيها.

ولدى استعراض خريطة منطقتنا يلاحظ حالا وعلى غرار ميزات ذات سيادة النمو الهائل الذي حصلت عليه الشواطئ التي يبلغ طولها الكلي ٥٣٠ كيلومترا. فهذه الحالة وكون البلاد واقعة في موقع جغرافي رئيسي في الطرف الثاني من العالم المعروف قديما شجعا دائما وصول جماهير الشعوب الغريبة التي على ما يظهر راحت تترك في المغرب آثار ثقافتها تراكمت فوق التي للشعوب الاولية وعلى هذه الكيفية يصبح العامل الجغرافي دافعا قويا لتاثيرات سلالية واسعة.

وضعية المغرب السلالية

تبدي القارة الافريقية في امتداد اصقاعها المترامية عدا النواحي الثقافية بحد ذاتها هذا الفرق الظاهر ضمن الدائرة الجيلوجية بسلطانيها الاطلي الريفي والافريقي ويلاحظ كذلك من الوجهة السلالية فاصل جلي بين المغرب وبقية اقطار القارة. ففي الشمال الافريقي ثقافات حامية شديدة القربى مع ثقافات غيرها مما ترقى من مقاطعة هسبيريا وهي تنطق بمصدر واحد في كل مظاهرها ولو كانت التطورات التالية خلال آلاف السنين قد اكسبتها صبغات خاصة فصلت هسبيريا الافريقية سلاليا عن شبه الجزيرة الايبرية.

واما في بقية انحاء القارة فعند فروبنيوس(١) تتوزع الى ثقافيتين افريقيتين

---

(١) Frobenius.

دير تين: الايريترية والاطلنتية منبعهما البحر الاحمر وخليج الغينية.

وشواهد الثقافة الايريترية حقول الاثارات على ساحل الموزنبيك(١) وسواحل البحر الاحمر كوهيت(٢) ذكرها جمهرة المولفين بالاوفير(٣) وتمتد هذه الثقافة الى الغرب من مصب الكونغو.

كانت الاطلنتيكا(٤) بادى ذي بدء في خليج لاغينايا(٥) وتعرف عنها اكتشافات واسعة جرت في ايفي او اوفي(٦) في بلاد الخروبس(٧) وناتي بشواهد واضحة لتاثيرات الاسيوية الشرقية الى حد حمل معه فروبنيوس(٨) على القول ان في ذلك الجزء من العالم كان منشاؤها.

والثقافات الحامية(٩) التي تحتل في الشمال الافريقي ميزات سلالية شديدة الوضوح. وتكون اخر درجة التطور الناشئ في منابع ما قبل التاريخ وفي النقش الصخري الصحراوي الزاهر ففي حالتيها تدل على صلة واضحة بالميزات المماثلة في شبه الجزيرة الايبرية في حين ان الثقافات الافريقية من حيث هي والثقافات

---

(١) Symbaje

(٢) Koheito

(٣) Ofir

(٤) La Atlántica

(٥) La Guinea

(٦) Ife o Ufa

(٧) Jorubas

(٨) Frobenius

(٩) Camitas

الاسبريـة تظهر ميزات كثيرة التباين ومنها تركيب المجتمع . واما الشعوب المنتشرة في رحـاب القارة فلها مـن الميزات التفريق بين طبقات المجتمع حسب الاعمار فعند المساي(١) تسمى درجات المجتمع لايوك(٢) الاولاد والمورات(٣) اليافعون والومورنو الكبار(٤) وتبتدئ حياتهم الاجتماعية كالمور (يافعون) بهجر قريتهم وتجمعهم في قـرى منفردة ومساكنتهم افتيات في سن النكاح وهنالك ينصرفون الى الحياة الحربية بيد انه لا اثر للاباحية في هذا الطراز من العيش . انهم يتجنبون كل ما فيه شطط ومنه الشهوانيات التي يراعونها مراعاة خاصة بحيث ان ادنى زلة مـع صـديقات الرفاق تعد امرا منافيا للاخـلاق يستحق الاحتقار وفي الثلاثين تقريبا يتم الانتقال الى المرحلة التالية الومورات (٥) وهـي المرحلة التي تتخذ فيها الحياة نسق الهدوء للعيش المتوسط الدرجة. واما تكريس البلوغ الجنسي فيتم في احتفالات الشروع التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالطقوس السحريـة الاولية وعند اغلبية هـذه الشعوب الافريقية يمسك الكاهن المتنكر كانه فهد بالمتجدد ويهزه ثم يسدد اليه نظراتـه واما عند الكري(٦) فيتنكر الكاهـن كانه فهد ويدهن جسمه ببقع مماثلة لبقع جلد الحيوان الهري الـذي من جلده يتخذ ما يستر بـه عورتـه . والفهد عند هـذا الشعب حرز الملوك الذين تمت

---

(١) Massai

(٢) Layok

(٣) Elmorán

(٤) Elmoruo

(٥) Elmoruo

(٦) Kirri

تضحيتهم بموجب هذا الطقس العائلي وروح الاذغل. وان كان الجرز اسما ففي هذا الاسم الذي يربطه باخوته ثروة ذات مغزى زهدي يجعله داريا بشعور التضامن الاجتماعي. وفي الثقافة الاطلنتيكية التي امتد تاثيرها الى الثقافة الحامية الافريقية وجود لطريقة سياسية ترى العالم بمرآة دينية صرفة، فالسماء مقسومة الى مناطق في عهد اله فيه صفات عمل خاص. حرب وفلاحة وامطار الخ.

فكل هذه الميزات الانفة الذكر تختلف اختلافا بينا عن الميزات التي تقتصر على ثقافة المغرب. فالمجتمع لا يستند الى رتب ودرجات حسب السن والختانة هي الاحتفال الوحيد الذي ينوه ببعض التمييز في حياة المرء وتجرى الختانة في المغرب قبل السابعة وهي تحوير للختانة الحقيقية عند الشعوب الطوطميكية(١) ومعناها شروع الفتى في حياة النكاح بواسطة ازالة القلفة العائق الحقيقي او الرمزي للجماع ووجود الختانة في شمالي افريقيا انما هو اثر ابعد للتسربات الثقافية المشتركة بين السبطرتين في القارة الافريقية.

الوشم

للوشم الذي يحمله المغاربة اهمية خاصة. وتعدد اشكاله التي تظهر لا تحصى ولا تنحصر وكذلك اماكنه من الجسد فكثيره التنوع. واما الاشكال المعتادة فهي الصليب. الطرق والدوائر. وفي الريف فكثيرا ما يستعملون الخطوط المتوازية او المعترضة. وفي بعض الاحيان تمثل صورا انسانية على نمط النقوش المستعملة في شبه الجزيره على الصخور والكهوف ويحصل هذا بصوره خاصه في قبائل بني يطفت حيث شوهدت عدة حالات. وفي مراكش واسفى على وجه كثيرات من النساء البربريات ينقش رمز اسطرطي اي قمرا في قرني الثور

(١) Totémicos

وتنقش الوشوم على الوجه والجبين والذقن خصوصا وعلى الصدر والافخاذ والايدي.

ففي بعض الحالات يملك الوشم معنى اجتماعيا كما في الزينب حيث استعماله عند النساء هو في كثير من الحالات شرط مسبق للزواج وتقوم بنقشه امراة من نفس الرتبة الاجتماعية العائلية المخطوبة. وفقط في حال عدم وجود امراة من العائلة عارفة بمثل هذا النقش يلتجا الى غيرها من خارج العائلة. فهذه المسائل تعتبر كعلامات لتاصل الروح القبائلية الكثيرة الشيوع عند الطوطوميك وتعتبر المراة بليلة الحظ فيما اذا قابلت الزواج دون ان تكون قد وشمت وكذلك يعد شؤوما ان وشمت الفتاة دون ان تكون قريبة من الزواج.

ولقد ذكرنا من ان الوشوم تكون لها بصورة خاصة صورة الصليب والدائرة والطير والان فلنتحدث عن مغزى هذه الرموز وما هو مصدرها الاجتماعي.

وهذا يقتضي ان نضع مقابلا مع الثقافة الكلدانية – الاشورية الزاهرة التي منها انبثقت عدة تيارات في مختلف بلدان الشمال الافريقي ان الجيل الذي استوطن آمابيين النهرين كان يعبد القوى الطبيعية لانوار الشمس والقمر والنجوم. ومنذ بدء ظهور اثار فن العائلات الاشورية المعروفة اي منذ ٢٩٠٠ ق. م. اظهرت هذه النقط الاساسية في ديانتها وكذلك في الاثار البابلية لمالي شيباك الثاني(١) الموجودة حاليا في اللوفر ويرجع قدمها الى ١٢٠٣ ق. م. وتظهر رموز شاخ(٢) وشوريباش(٣) الهي الشمس لعصر القاسيط(٤) فالنجمة البراقة هي الرمز الشمسي

---

(١) Meli-Xipac II

(٢) Xaj

(٣) Xuriax

(٤) Kassita

الخامس ببابل ولقد امرت سميراميس (١) بنقش نجمة زوجها مزينة بالرموز المقدسة وبينها الصليب رمز شماش (٢) اله بابل الشمسي. فهذا الصليب رمز الوهية الشمس في مابين النهرين وهو ما جاءت به الى الغرب الشعوب الزاحفة في كثير من حملاتها الحربية والتجارية فتاصل عند السكان المغاربة الاولين الذين اقتبسوه بادي ذي بدء كرمز ديني للاهليليجية ذات السيادة وبعد الدخول في الاسلام دام استعماله بحكم التقليد مع جهل معناه الاولى.

والدائرة اصل مشابه والقرص البسيط هو رمز الاله الشمسي ومن بعد يظهر القرص مجنحاً مثل الذي يقدس في مصر. واشكال البسيط الاولي هو الذي ينقش في الوشوم المغربية. وفيما يتعلق بالطريق ففي عهد القاسيط نقف على التماثيل الذكارية مع الرموز المتقدمة بيد انه لازال مجهول المغزى.

وبعض اشكال الوشم المغربي تمثل دائرات ذات مركز واحد وحلزونى. وكثيرا ما توجد في الريف. وعند بريول (٣) هي نهاية سلسلة تطورية ابتداؤها رجل رافع الساعدين في حين ان دشيلات (٤) يخالفه ويعتقد بانها نتيجة تحول الشمس والمركبة الشمسية. ولئن كان الامر كذلك فيمثل الاول الشمس وتكون المركبة نصف دائرة فجاء فنان غير حاذق فحصل على نسبة اكبر وصحيح كذلك تغيير التمثيلات الرموزية في الحجرية لما قبل التاريخ فيما يعود الى الوشوم وهي تشير بلا ريب الى وجود عبارات اهليليجية قديمة. وفي حالة الوشم الذي يمثل

---

(١) Semiramis

(٢) Xamax

(٣) Breuil

(٤) Dechelette

شكل حلزوني داخل الدائرة يمكن ان تعتبر كدليل الحركة الشمسية وكثيرا ما توجد ايضا حالة النقطة المركزيـة والاشعة المنبثقة منها بالنسبة للحالات التي يمكن ان يعين لها مغزى مماثل.

وفي حصن طرونيا تظهر رموز شمسية في شكل دائرات شعاعية بعضها مزين بمنطقتين من الاشعة. ومثلها النقوش التي تزين بعض قطـع فسيفساء برتيروس وسبروسو(١) وتوجد ايضا انـواع الوشم على اساس خطوط هندسية فالخطوط(٢) المنكسرة مماثلة للصور التمثيلية للطور المكدالاني. واخيرا ان الخطوط التي تشير الى الخرافة المتاصلة فيما يتعلق بالخمسة التـي سنشير اليها فيما بعد وندرسها دراسـة وافية فشكلها المتعدد الصور يثير الاعجاب الى حـد بعيد. فعلى هذه الكيفية توجد وشوم. وكذلك يمكن ان تشاهد مرسومة بالحناء او بالنيل على الابـواب.

عـبـادة الشمس

فلئن كان كماقد شاهدنا لدى تحليل مصدرها فا لوشوم تقريبا هي رموز سحرية او دينية وعـلامات مميزة لالهة الانسان الاول فيصح اعتبار الوشم كمنطق سحر لطيف او حارس. وبواسطة هذه الوشوم يسعى الشخص الموشوم في ان يجلب لنفسه حماية الالهة التي يحمل رموزها منقوشة على جسده. وتوجد اشكال اخرى من الوشم منتشرة في العالم لها معان تختلف عن معاني هذه. بيد ان التي تستعمل في المغرب ينبغي—دون ما ريب ان يعين لها المعنى المشار اليه فمن وراء هـذا تميل

---

(١) Briteiros y sabroso

(٢) خواكين لورينثو فرنندث Joaquín Lorenzo Fernández الرمز الشمسي في شرق غربي شبه الجزيرة «موتمر العالم البرتغالي المجلد الاول لشبونة سنة ١٩٤٠

الى واحدة من ميزات السلالة النفسانية المغربية التي اكيدا يميزها الى درجة قصوى ذلك الفيض من الافكار التي استحوذت على العقلية المغربية لما قبل الاسلام ولا تزال حية في خرافاتها، الا وهي عبادة الشمس.

كان لعبادات قوات الطبيعة، وهي الرئيسية انتشار واسع في العالم كله. فلدى انبثاق فجر الانسانية الاولى كانت نفس الانسان تلامس في اتصالها النابض الالوهية التي تحزر وتدرك في المنظر الحائل المريع للطبيعة وترى في الكوكب المنير الذي يطلع طلوعا موثرا في وحدته البهية منطق الكائن الاعلى الذي ينبغي ان تكرس له احدى صلواتها. فالشمس ترسل على الارض اشعتها الخصيبة. فتعمل على اخراج النباتات التي من قسمها العظيم يتخذ قوته. وجمال طلوعها الساحر وغروبها وانتظام دورانها. كل هذا عمل في اولائك الاميين عمله وترك تاثيرات عجيبة جلبتهم الى حضن هذا الكوكب. فلا ريب في ان هذا هو السبب الاول لهذه العبادات التي تتكرر عند الشعوب المنتشره في سائر القارات.

ويكتب فروبنيوس(١) هكذا: كل شيء متصل بسير الشمس اثناء النهار في عالم انوار الليل والصلة تتحف بالايضاح. وسير الشمس هو الحادث العظيم الذي ينبه ضمير الانوار(٢) ويكتب من بعد: «احساسات وتفكيرات موثره تكتنف الشمس. ومن هذا يتولد اللغز. فالشمس تتحول الى قرص والتنين رمز البحر في مركب والساحر يصبح كاهنا».

وهذه الافكار توجد عند اكثر الشعوب تباينا من حيث الهداية السلالية فعند

---

(١) Frobenius

(٢) راجع فروبنيوس Frobenius في «الثقافة ككائن حي» مبحث اسباسا كلبي Espasa Calpe مدريد سنة ١٩٢٤

الشعوب الشمالية والهمجية التي تاصلت عندها عادة الشمس حمل معه دتشلات(١) على القول في احدى كتبه(٢) في الواقع ان عبادة الشموس هي التي تركت من بين عبادات الهمجيين في الغرب من عهود ما قبل الرومان في الفن لما قبل التاريخ اثارا اشد ظهورا. ولقد تاصلت تادلا بعيدا عند الشعوب السامية الحامية للعهود الاولى للبشرية واما عند الشعوب الاوربية فلا شئ يدل على وجود عبادة الشموس قبل العصر الحجري الثاني بينما كانت قبل ذلك عند شعوب الشرق الاوسط والشمال الافريقي.

واما رمزها في مصر فكان كثير التنوع واسماؤها لا يحصى عديدها وكذلك اشكالها الرمزية. ومن بعض ممثلاتها الاوسيرس وعمون طابس وراوهليو بولس وبطاح منفيس والي النشاة الخالصة تنضم وتمتزج في هذه المرحلة.

للعبادة المصرية نشاة السحريات ومعاطاتها التي كان لها وجود في عهد ما قبل التاريخ وكانت متصلة بها اتصالا محكم الروابط. ولقد حدثنا عنها فرازر(٣) بهذه العبارات: في كل ليلة كان فيها رع اله الشمس يعود الي مقره في الغرب الملتهب وكان عليه ان يحارب جيشا من الشياطين تحت قيادة ابابي عدوه اللدود. كان رع ينازلهم الليل بطوله وفي بعض الاحيان كان الضباب يتوصل الى جعل السماء قاتمة بغيوم سودا. واضعاف نور الشمس حتى في النهار ومن اجل مساعدة الاله كانت تقام يوميا في هيكله في طابا الحفلة الاتية: يصنع من شمع تمثال لابابي

---

(١) Dechelette

(٢) دتشلات Dechelette في كتابه: علم الاثارات لما قبل التاريخ السلتية والغالية الرومانية باريز سنة ١٩١٠

(٣) Frazer

شكل تمساح فظيع وحية ذات حلقات لا يحصى عددهـا ويكتب على التمثال بمداد اخضر اسم الروح الشريرة فتوضع الصورة في غشاء البابير وعليها الكتابة الملفوفه بشعور سوداء ثم يبصق عليها الكاهن ويقطعها بسكين من حجر الصوان ويرمى بها الارض ويطأها بقدمه اليسرى. واخيرا كان ينهى الحفله بحرق الصورة في موقد اشعلت فيه اجناس معينة من النباتات. ومن بلاد ما بين النهرين ومن احدى النقـاط الاخرى جاءت الـى المغرب افكـار ارشـاديه لعباده الشمس هـذه ولقد امتدا الى عبادتها. وفي الموشيات التي عثر عليها تشاهـد غالبا تمثيلات شمسيه كما هي الحال في وشي طابـع الاسطوانه الموراميك بـن اريك دن ايلو الذي عثر عليه في اشور واحتفظ به في برلين

ففي هذا الوشي يظهر قرص مجنح علامه الوحـى الشمسى وهذه هي الحال عند كثير من النماذج التي عثر عليها.

ومن مصر انتقلت عبادة الشمس حالا الى المغرب فتاصلت في هذه الامصار بقوة لا توصف. ففي عهد ما قبل التاريخ رسمت في جنوب وهران نقوش صخريه درسهار فرنيان(١) تمثل كبشا متوجا بقرص شمسى محوط بحيتين وهـى صوره ما خوذة مباشرة من صورة امون الفرعونية وهـذا ممـا يـدل على ان عباده الشمس هي التي اعدت الباطن الدينى لشعوب الشمال الافريقى منذ اقـدم الازمان. وما عاش منها ولا يزال مصونا ليدل على ان الباطن الروحى لم يضمحل.

ومن بين الطقوس التي تقوم بها حاليا الكفراديات الدينيه الاسلامية بالمغرب تسترعى الانتباه ايما استرعاء واحـده. فعند كفرادية «الحمادشة» يضرب الاتباع رؤوسهم بفؤوس ذات شكل خاص مركب من شفرتين حادتين مصنوعتين صنعا

---

(١) R. Vernean

محكما وكلتاهما مع تؤلفان شكلا اهليليجيا(١) ومصدر استعمال الفاس في طقوس الكفرادية يروى بين الاتباع كما يلي.

كان سيدي رحال — وهو رجل صالح — يعيش في الجبل وكان خشي ولو كان في خدمته امراتان عفيفتان فسمع السلطان بقداسته فارسل اثنين من رعيته اليه للتاكد من امره وكان أحدهما سيدي علي — مؤسس الكفرادية والآخر احمد العروسي اللذان ما ان شاهداه حتى تسربت اليهما قداسته ورفضا الرجوع الى مراكش الباعث الذي حدا بالسلطان الى ارسال عساكره في طلبهما فالقوا القبض عليهما وحكم عليهما بالاعدام وعند ما حانت ساعة تنفيذ الحكم طلع سيدي رحال من وراء الجلادين منتضيا فاسا كانت كافية لتشتيت شملهم وفي الحال اهداها لسيدي علي الذي بدوره تركها لاتباعه(٢)

وبقطع النظر عن هذا التاويل ينبغي ان يبحث في طقس استعمال الفاس بقاء كامن بطيء لعبادة الشمس فيما وراء روحيات المغربي يبديه في مظاهر كثيرة التنوع. ففي الواقع انما الفاس هي رمز الوهية الشمس وترمز الى الاشعة التي يطلقها الكوكب وقد ادركت بشكل مطرقة وكثيرا ما تمثل بشكل اوعية تقوية من العنبر او العظم.

وعادة الشمس هذه تنتشرا نتشارا هائلا في القارة الجديدة كغيرها من العادات الطبيعية وتمثيلاتها كثيرة الشبه بالتي نعثر عليها في العالم القديم ولذا

(١) طومس غرثيا فيغوراس «الحماشة والعساوى» (موضوعات عن الحماية)
Tomás García Figueras «Hamadcha y Aissaua».

(٢) القبطان ملدوناذو «الكفراديات الدينية بالمغرب» تطوان سنة ١٩٤٢
Capitán Maldonado «Cofradías Religiosas en Marruecos» Tetuán 1932.

ندرج صورة من ذهب لتمثيل الشمس عند جماعة انكس ابيرو لأنها تبدي وجهات شبه مدهشة بنوع الوشم الكثير الشيوع في الريف مما سنتعرض لتبيانه فيما يلي. وكل هذا انما هو دليل على بداية عبادة الشمس التي تحدد تلك الوشوم التي سنصحبها كذلك بتصميم يتعلق باختلاف انواعها الموجودة في سائر النواحي المغربية والتي فكرتها الانشائية مبدأ عبادة الشمس.

العزائم

وحيث تشاهد مشاهدة تامة مجموعة واسعة للافكار الوثنية هي من بقايا آثار الانسانية البدائية ففي الخرافات التي تستحوذ على النفس وتفرض سلطة جبارة على الحياة اليومية. وعلى كافة اعتباراتها تطبع طابعا قويا من نفوذها. والعزائم مظهرها المادي فهي كثيرة ومختلفة وتكون على اشكال متباينة وقد تكون جزءا من الطقوس الفينيقية بيد انها قد تكون حسب ما يقدر سابقة في تكوينها اذ نعثر على رموز لها متواصلة في المغرب وهذا ما يحصل لما يسمى «بعلامة التانيث» المشكلة من مثلث منته بدائرة وخطين منكسرين وفيه نشاهد بقايا لعبادة الشمس.

ومن اشد العزائم سلطة في المغرب عزيمة القرويين بفاس التي حسب الاسطورة جيئي بها من القيروان وهي كناية عن عصفور من ذهب في منقاره عقرب يصون الجامع من القيران وكرة من حجر مجهول يقتل كل افعى تجتاز بصورة من الصور اسوار القرويين. ففي عهد وضعها كانت هذه العزيمة ذات فائدة كبيرة اذ كانت تتقع حالات الاغتيال لاسباب سياسية ودينية باستعمال زحافات سامة.

والعزائم فاعليات مادية يمكن ان تصون من عمل الارواح الشريرة وتحفظ الانسان من مضرة الجنة وتشفي من الامراض التي تسببها وتقي من مضرة العين التي ترعب. والعيون الزرقاء هي موضوع خوف اكثر من غيرها لانها نادرة وعيون

المراة اشد مفعولا من عيون الرجل وهذا من الاسباب التي تحدو لوضع الحجاب على النساء لتلافي سحرهن.

وللنعال التي تزين الابواب المغربية مثل هذا المغزى. ويكون لها شكل معدني مخمس الاطراف وفقا لخرافة الخمسة وطريقة ادماجها في الباب متنوعة وتكون عادة في الزاوية العليا من اليمين رغم انه يمكن ان تكون من الشمال وفي هذه الحالة يوجهون منتهى اطرافها نحو اليمين خلافا لما يقع في الحالة المعتادة الكثيرة الاستعمال والتي اشرنا اليها اولا. ورغم ان الاطراف المعدنية التي تتالف منها النعال هي خمسة عادة فيمكن ان تتكون من سبعة في مناسبات اخرى. ولتجنب عمل العين ايضا تلفظ هذه الجملة. «خمسة على عينك او قد يكتفى بلفظ «خمسة» وخرافة الخمسة الكثيرة الانتشار في المغرب لهي ذات انتشار في العالم باسره فيكون ان الخمسة كعدد طقسي توجد كذلك عند الشعوب الاميركية الاهلية لقبل عهد كوكومبس. وتوجد في ضواحي البوجت صوند في اميركا الشمالية وفي كليفورنيا تظهر بين الكوسطنكس ومن المرجح ان العدد الطقسي «العشرة» يوجد في شمال شرقي وغربي البومو وتظهر الخمسة ايضا بين الكيكانو من اعمال خاليكر. وهي في اميركا الجنوبية كثيرة الانتشار ويستعملها من بين الشعوب الوطو في كولمبيا والكوبا والتشمريغوانو من اعمال انتشركو. وفي العالم القديم في آسيا نعلم ان الخمسة كانت عدد اذا قدسية خاصة.

فاذا كانت الهياكل حيث كان الملوك يقدمون فيها ذبائحهم الى الالهة ذات خمسة طوابق وتتسنى لنا مشاهدة ذلك في طابع توكلشي نيبورث الاول المحفوظ في برلين بين الشمائيل العريده المحفوظة هنالك. ويملك الاسرائيون عدة اشارات في طقسهم توضح مثل هذا الاعتقاد. وما احتفالات عيد «السخينة»

او « السكوت » سوى مثال على ذلك . ويحتفلون بهذا العيد في اليوم الخامس عشر من اول شهور السنة او « تشري » وفيه يدورون بسفة تنتهي بترنجة في اليد ودورتهم تتم حول اضبارات احتوت على كتب موسى الخمسة وفي اليوم السابع يقومون بسبع دورات. وعند الكلدانيين كانت تشيد اهرامات ذات سبعة ابواب لسبعة طوابق واما الكلدو لبريون الاسرائيليون فيستعملون سبعة اذرع . فكل هذا يدل على ان خرافة الخمسة واسطورة السبعة تستعملان عادة كما هو حاصل في المغرب بصفة المشاركة.

وبين الوشوم المستعملة بوفرة في المغرب تمثيلات هاتين الخرافتين وفي الصورة المرفوقة نشير الى بعضها ومن معاينتها يمكن ادراك الاهمية العظمى التى تتوصل اليها هذه الخرافات بسهولة ولتقديس اليد « علاقة وثيقة بخرافة الخمسة وهذا الى حد جعل منهما تؤلفان عزيمة اولية في المغرب . فاليد ما زالت منذ العصور الاولى لفجر الانسانية موضوع تقديس خاص تاصلت في شبه الجزايرة الابرية وانتشرت انتشارا عظيما وهذه الفكرة ما برحت قائمة في المغرب اليوم على اشد ما هى عليه مفعولا . فاليد باصابعها الخمس تشكل العزيمة المختارة وتضم خرافتين : خرافة الخمسة وخرافة اليد ويعد بالالوف في المغرب الذين يستعملون « يد فاطمة » كدواء شاف من العين . فعلى سائر الابواب وعتب المساكن المغربية تصور بالاحمر او الازرق يد منبسطة تدفع هذا الشر (١)

وتمتاز اليد في عبادات ما قبل التاريخ بدرجتها البارزة ، ففي سائر الغيران التى درست حتى الان تقريبا عثر على تمثيلات لليد في اما كن نظرا لصعوبة الوصول اليها ينبغى ان تعتبر اولى اضرحة الانسان الاول وهذا يحصل مثلا في كهف

---

(١) خوليولا البريك « نسب السلالة الابيرية الافريقية الباب الثالث مجلة موريتانيا » عدد ٢٢١ طنجة. مايو ١٩٤٦

القصر بمدينة سنتدندر حيث توجد بكثرة صور الايدي التي تغشى جدرانه ومثل هذا حاصل في غار غرغس الامر الذي له أهمية فريدة وخصوصا ما في مغارة الطاميرا ولقد وصلت الدروس التي قام بها في هذه المغارة بصورة خاصة كل من هزى بريل وهوغو الى الاستدلال على ان للاشارات والصور المنقوشة في الغيران علاقة بطقوس السحر او عبادة الحيوان في شكل صنم (١) ومنها يستدل على الفن الاولي المحجر المنحوت على انها كانت افرحة لهم. ويصعد تاريخها الاكيد الى عصور سحيقة كما يذكر في البحث المشار اليه والعصر الاورينا سيسير ترجع اشارات وعلاقات ونقوش حمراء وايد مصورة ومنقوشة تمثل اكواخا وحيوانات في اغطية «فعلى كل هذه التمثيلات ان قليلا وان كثيرا صبغة فنية حسب الفن او الروح الجمالي للشعوب التي صاغتها وهذه الظواهر حسب تاكيد او يرمير في كثير من الاحيان غير منظورة وانما صنعت لمتعة الصانع والالهة.

وفي مصر الفرعونية بلغت كذلك الدرجة القصوى من الانتشار فالعلامة «لـ» من الحروف الهيروغرافية هي يد وعلامات الكائن وKhu من المقاطع تمثل اليد مع الساعد فانتشرت في العالم الجديدة انتشارا كبيرا (٢) كما هي الحال بالخصوص عند المايس.

عالم ما فوق الطبيعة

فهاهنا حيث تلتقى في صوت واحد لا يجارى كافة انغام دراسة سلالة ما قبل الاسلام. فالشعب البربري الاولى الذى استوطن هذه البلاد منذ

(١) الاب انريكى بروويل والد كتور هوغوا وبيرمير مغارة الطيميرا في سنتياناد لمار الشركة الاسبانية الاميركية والاكداميـة الملكية للتاريخ سنة 1935

(٢) خـوليو كولا البرياك

المراحل الانشائية للحياة الانسانية، علم غزير في السحر قائم على الحدس والتكهن. وكانت له دراية في العقاقير السامة والمهيجة وفي استعمال خصائص الاعشاب. وكان البربر حاذقين في التكهن وكانوا يتخذون كقاعدة لتكهناتهم خطوط اليد وحركات البطن. فالافكار الاولية التي جاءت من ارض الكنعانيين تأصلت في المغرب وامتد نفوذها بحافز من الخيال البشري في كنف المحيط العظيم الشان. فالكوارث وصعوبات الحياة والكفاح ضد الوسط المعادي حملت فكر الانسان الاول على ان يضع في محيط ما فوق الطبيعة الذي يدور به مخلوقات شريرة هي سبب تعاسته. فكذلك يمكن ان يقال ان المغرب هو بلاد الجان التي تسكن جباله الجرد، وصخوره التي لا ترتقى. فالجان هي التي تطارد الانسان وتتحدى الله وليس غير الثلوج ما يعوقها عن ان ترتفع وتثور على الله فتعود عندئذ ضد البشر الذين في ليالي الشتاء القاسية ينبغي ان ينتظروا من تلك المخلوقات القاتمة والمظلمة التي تعيش وتضطرب في نشاط دائم كافة انواع الكوارث والمصائب (١)

فهذا الازدهار الخارق لعالم ما فوق الطبيعة الذي خلقه الفكر المغربي ينبغي ان يعد في جملته نتيجة لتأثير المحيط في الانسان، وجدوبة اراضي شمال افريقيا الفسيحة ووعورة سلسلة جبالها الكثيرة الامتداد التي لا يشملها وصف واخيراً فداحة مناعة المحيط العدائي الذي يدور بها، ولدت في الفكر الاسباب والحالة المناسبة لتصور عالم حافل بالجان والارواح الشريرة التي تشجع وهي في أحشاء الصخور وخبايا التربة على اعزاء جملة المصائب التي تحدث في الحياة في مثل هذه المقاطعات الغير ملائمة ومملوءة بوسط تعمه الوحشة، الى تلك الارواح. ففي كل جهة نفس النغم المحزن المغم الذي مع تناسب مبهظ للرواسي القائمة في البلاد كوخز

---

(١) — انركي اركس في مملكة الجان المظلمة» افريقيا الشمالية سنة ١٩٢٦ والجان العفاريت المغربية» غزتادي افركا ١٩٤٥

الحجارة الشائكة يطغى على الذات ويعدها لتصور الفرد لعبة قوات غريبة وجبارة تحيك تعاستـــه. والجدوبة الموحشة للقسم الاكبر من البلاد تخلق حتماً وجودا مضنكا، فتدرر نشاط الارواح الشريرة المشئوم فيساعد في هذه الحالة الوسط على ما يتطلبه الفكر. ويبدو مفعما بعويل الارواح هبوب الارياح التي تعصف في حناجر تلك الوهاد. وفي فصول الشتاء القاسية في جبـــال غمارة أو الريف المرعبة يحدث المنظر الوعر في قرارة النفس روعا يشحـــذ الخيال ويدفعـــه في طلب جان يعزى لهيجانها الكوارث التي تقع. ففي منظر الطبيعة ينبغي ان يبحث عن سر الكآبة العميقة المريرة التي تشربتها هذه الاعتقادات الغابرة لسكان المغرب

ومن اجل التغلب على حيلها واخضاعها لمصلحة الانسان اوجد هذا، السحر الذي تأصل في المجتمعات الاولية البدائية تأصلا خارق العادة.

فالسحر الذي طقوسه—دائما سرية—تؤلف ما اسماه اوغست كمبت رسول الايجابية "بحالة العلوم اللاهوتية" توصل سريعا الى مكانة رفيعة ما زالت حتى الان عند الكثيرين من الشعوب الاميركية.

ويبلغ السحر العلاجي عندئذ ذروة مجده اذ يحاول ايقاف الامراض الشريرة التي تسببها تلك المخلوقات. والترياق وهو (الشراب المقدس) يعد بواسطـــة اختمار عصير بعض النباتات التي تم جمعها وفقاً لبعض الطقوس الخرافية. ووجود هذا الشراب تعترف به الثقافات القديمة على اختلافها واسمه في الهندية (صوما) وهو (الثولاسي) المعد افشنو الخ. ولا نهاية لتعداد المستحضرات التي تستعملها المداواة السحرية. ففي جنوب الجزائر والمغرب وتونس للضب المسمّي اورصشتى اهمية كبرى فمنه يستعمل الجلد والمخ واللسان في الطقوس السحرية نظرا لكون ذنبه يتألف من احدى وعشرين حلقة وهذا عدد رمزي في السحر—

فالجان التي تحدثنا عنها والتي توجد في عالم ما فوق الطبيعة لعهدما قبل الاسلام

في الشمال الافريقي تنتمي الى اكثر الرتب اختلافا (١) الابالسة والشياطين والعفاريت الخ وقليلون هم ابناء البشر الذين تمكنوا من التسلط على جنيهم. ولما في الشرق فيعد سليمان من اعظم الساحرين وسيد الارواح الارضية والعلوية انكانت له عليها سلطة مطلقة وهو ذلك الملك الاشد صولا والأوفر مالا من بين ملوك الارض وسلطته هذه يعود الفضل فيها الى خاتمه العجيب الذى كان فصه زمرودة نقشت عليها نجمة. وامتدت هذه الشهرة الى الغرب في عهود التوسع الاسلامي وتشهد بذلك رواية مأخوذة من (تاريخ) ابن حبيب في القرن العاشر حيث يقول :

« اثناء فتوحات موسى وصل هذا الى نقطة عثر فيها على صناديق نحاسية. ولما كان يجهل ان سليمان كان قد حبس فيها عفاريت امر بفتح احدها فخرج احد العفاريت وظن انه يتكلم مع سليمان فقال لسليمان وهو ينقض رأسه : « انني احييك يا نبي الله ! لقد افرطت في قصاصي في هذا العالم ! » ثم لما شعر بان الذي اطلق سراحه لم يكن سليمان ولى هاربا خوفا من ان يعود ثانية الى حبسه.

وكما ان سليمان في الشرق سيد الجان فمولاي عبد القادر الجيلاني سيدها في الغرب. بيد ان هذا الامر ليخرج عن الموضوع بحد ذاته.

وكثير من الجان، تظهر باشكال خداعة يظن معها انها تسكن في روح الصخور. وهذا ما يحصل في الريف حيث وحشة الجبال القاسية الجرداء. تبدو كانها مراتع الجان. وانها لتشبه اللوحة الزهدية لفروبل حيث نفس الجبال متوشحة بوشائح الشيطان (ابليس) الارجواني — البنفسجي وقد اختفى وجهه وراء الغيوم الغبراء..

ولاجرم ان ساعدت النواحي الجبلية في العالم على ازدهار عالم ما فوق

---

(١)— ضون طوامس غرسيا فيغارس (D. Tomás García Figueras)
معلومات عن الاسلام في المغرب « العرائش.

الطبيعة بشكل خاص. فهذا ما هو حاصل في منغوليا حيث تخترق مساحاتها الفسيحة الجبال الجبارة اذهناك يجري نفس الحادث بميزات كثيرة الشبه بالتي في المغرب فالطبيعة الجبارة تتكلم الى نفس ابن البلاد عن القوات الخفية التي تتامر ضد ابناء البشر (١) وهذا ما يحصل في المغرب ولكثير من الطقوس المستعملة لابطال مفعولها المشؤوم شبه غريب بالطقوس المستعملة في منغوليا. وهذا ما يحصل في مسالة « الكَرَاكَرْ » المغربية التي

(١) توجد اراء شديدة التباين حول درجة تطور البشرية تظهر فيها فكرة الارواح الشريرة. يؤكد ا. ـ. هيم: ان الانتقال من حياة الصيد المجتنية البدوية الى الحياة الحضرية الزراعية، ياتي بفكرة الآلهة الرؤوفة التي ندين لها ببركة الارض ... وتنضم الى العفاريت هكذا الهة صالحة وحكيمة والى هذه الالهة تعزى القدرة العليا اكثر الديانات تقدما بينما يرتائي والهلم كوبرس «ان لا صحة لعدم وجود الارواح والآلهة الرؤوفة قبل مجيئي الحياة الزراعية. اذ ان الاعتقادات التقليدية بالارواح المخيفة والعفاريت تظهر على الاصح بين اكثر الشعوب بداوة وغيرها من الشعوب الفلاحة المتاخرة وذلك نتيجة للانحطاط العالم بالكائن الاعلى من جهة ولا نتشار خاص للاعتقاد بالارواح والنفوس من جهة اخرى (علم الارواح) والهلم كوبرس «الانسان الاول والديانة الاولى» ابحاث معهد برنردينودي شها غون لدراسة السلالات البشرية من حيث الوسط والتركيب الجسدي التابع للمجلس الاعلى للابحاث العلمية. باب رابع دفعة ٩٠٦ مدريد سنة ١٩٤٦) واما فريينيوس فيعتقد بدوره: «ان قضية الجان لهي حتما من نتاج العالم الادنى ولها اتصال بامور شهوانية قريبة الادراك ثم تتحول الى جنى مفرد (فالرومان كانو يقولون نومن) بفقد الارتباط القوي الواعي لادراك الاستقلال الشهواني الظاهري. ويفرض المجال الحيوي الطبيعي تاثيرا هاما على الشكل والقوة الحيوية

ليست سوي كوم من الحجارة تقام كهدية للجان التى تعيش في مثل تلك الاماكن الملعونة . فعلى شاكلتها « الاوبوس » او النصب المقدسة التي يرفعها كهنة الهندوس في اماكن محفوفة بالاخطار وهى كناية عن مذابح اقيمت للارواح الشريرة ويتم تشييدها في السفوح الجبلية « طانواو لا اونان ثان » وهى كناية عن جذوع اشجار اسندت الى صخور بشكل مكعبات طولها ثلاثة امتار . ويقدم المارة خضوعهم الى هذه لمخلوقات فيعقلون بالاغصان « الاوبو » شرطا من حرير ازرق تسمى « هاتكس » او الشبائب وتطعم لحما وفناجين الشاي او قبضات من الملح فهذه العدد والخرق وهذه الهدايا تشبه التي يعلقها المغاربة في « العار » وتقوم هذه الاتقادات على قاعدة عقلية واحدة وعلى ادوار السحر متشابه .

المجموعات الثقافية وعلى هذا المنوال كذلك يكون التاثير على شعور المجال النفساني وتعمل القوة الحيوية الجان اذن متجهة نحوما هو عبقري في شكل خاص ثم تتلاشى في تركها المجال الحيوى الغير محدود (تاليف جاليات) . « بيد ان هذا لا يقتصر على تبديل المكان الماهول بل انه يمتد الى خنق المجال الحيوي مثلا في سبيل تاليف المواصم الكبيرة »(--ليوفريبينيوس صفحة. ١٥٠ op. cit)ويكتب مريت الاستاذ الشهير في جامعة اوكسفور هذه العبارات : الانسان الاول يقر نفسه في اشياء هي بالنسبة الى علمنا قاعدة الحياة او الشخصية وهو يفتكر ان لها نوعا مختلف الجسم غير انه موحد لشعور والحركات بيد ان هذه الاشياء لا يعني انها قادرة على تقليد الشيح كما يفعل الانسان عندما تتركه روحه موقتا او عندما تتحول بعد موته الى روح من الارواح وعند ما الشيئي من جهة اخرى او الشخص— يقعان داخل النطاق التحليلي لما فوق الطبيعة وبوقد ان الخيال كمعجزات فيتوفر ما هو اقوى من الداعي لان يحاول الهمجي تغيير السر الذي ينبض في الظاهرة الغريبة او في ما وراءها . « ر . ر . مرمريت دراسة سلالة الانسان بالنسبة الى المحطتر جهة مدريد ١٩٣١

ولجان اخرى ميزات حامية وهذه الفكرة قديمة لكذلك في الشرق فيكون ان الجان المجنحة التي في قصر اشور ناشير بال في طاجو العظيم كان موكولا اليها نظرا لفضائلها الحامية امر الدفاع عن ساكني القصر الاماجد ضد الارواح الشريرة. والجان المعدة كالة للريح نظرا—لاجنحتها تمثل براس رجل او نسر.

السحر

الاراء متضاربة متباينة لاقامة صلة بين السحر والديانة » فالسحر والديانة يكتب مريت (١) هما من حقل واحد للاختبار البشري وينتميان الى احد الحقلين العظيمين للعالمين لئن صح لنا تسميتهما بذلك حيث كانت المعركة الفاصلة الاختبار البشري خلال تاريخه العام. اما كلا الحقلين فينتميان الى عالم ما فوق الطبيعة الى ديانة الاختبار الى منطقة الغسق في الدماغ « وما عالم ثان وهوخ كرخت (٢) فيد حض فكرة الاسبقية الزمنية والعرضية للسحر بالنسبة الى الديانة ويعتبر مرفوضة من حيث وجهة درس ما قبل التاريخ كل النظريات التي تتنا في مع راية « ففي حقل ابحاثنا يكتب نقتصر على ان لا نقبل ان التمثيلات الاولى التي صاغها الانسان لما هو إلاهي كانت في نشأتها الاولى على حد من البساطة والحالة البدائية كما كانت عليه الاشكال الاولية البدائية للفن والاقتصاد. وثمة مستند اخر من جملة مسندات نظرياتنا وهو الاعتبار ان السحر ما كان ليؤلف عاملا خالقا وانما هو عامل مشتق ثنياني لامصدر اولي. »

والسحر اللطيف كطقس عملي يقام في سائر نواحي افريقيا الاستوائية ويصف فروبينيوس مشهد احضره سنة ١٩٠٥ في ادغال بكر بين الكاسي واللوابي

(١) مريت صفحة 166 op. cit

(٢) الاستاذخ. كرخت « انسان ما قبل التاريخ كخالق: العالم الروحي للبشرية في العصور الجليدية. » برلين ١٩٤٢

قام اثنا عشر المحاربون الاقزام قبل الشروع في صيد وعل برسم هذا الحيوان على الارض عند طلوع الشمس ورموه بسهام اقواسهم (١) ودرس استاذ جامعة برشلونة الشهير ضون ماتشور المغرب وجبل اسلين بوكرس (الصحراء) (٢) وهو مثال اخر الاضرحة الاولية التي تجرى فيها طقوس السحر اللطيف وقد عثر في ذلك المكان على نقوش في صلب الحجر هي لحيوانات يطيق عليها الرحالة الصياد سحره. وهي اضرحة قبائلية يعتكف فيها الرئيس او الساحر لمناجاة الارواح الحيوانية الممثلة وجعلها تتحول لمصلحة الجماعة.

واما سحر الصيد فيقوم على فكرة هي ان الصياد يكتب سلطة على حيوان حال تسلطه على صورته بطرق سحرية وهذا يعني بسلطة على روحه ولسائر المجتمعات البدائية اطلاع على طرق مختلفة للاتصال بقوى ما فوق الطبيعة.

وزيادة على هذا المزيج يزاد مسحوق ذنب العقرب. فهذه هي الروشانة التي في عرف السحر لتحضير السم الكثير الاستعمال في بعض الحالات. واما تحضيره فينبغي ان يقوم به رجل لباسه الكامل من جلد مدبوغ او من جلد ماعز يكسيه من ام راسه الى اخماص قدميه

بقايا وثنية

لقد لاحظنا كثيرا من الطقوس والعوائد التي ما زالت حتى اليوم في المغرب والتي تنم عن ميزات غير قابلة للاخذ والرد من انها تعود الى اصل سحيق لعهد ما قبل الاسلام. فالبقايا الوثنية كثيرة في مختلف نواحي عقلية الشمال الافريقي. بيد ان كافة الابحاث المتعلقة بالاوجه الاولية للعادات تصطدم بعقبات ذات

(١) لويوفروبنيوس وهزي برويل «لافريك» (دفاتر الفن) باريس ١٩٣٠

(٢) الاستاذ ملتشور المغرو «فن ما قبل التاريخ في الصحراء الاسبانية» مجلة افريقيا عدد ٣٥–٣٦ مدريد سنة ١٩٤٤

صبغة خاصة. فالتغلغل العربي في البلاد فرض على السكان تأثيرا ذا اهمية متباينة وتوصل الى فرض لغة عربية على بقاع فسيحة الارجاء. ومثل هذا ما حدث لاوجه اخرى من الناحية السلالية-الثقافية التي تحدثنا عنها ومن هذه تنشأ صعوبة التوصل الى الميزات الاولية المقلية المغربية.

الحجارة. ان من بين المدافن التي تصنع للاولياء المسلمين في المغرب المدفن المسمى «بالحوش» وهو ضريح بسيط مكون من دائرة من الحجارة تحدد قبر الشخص الذي يقدسه الشعب.

ان هذه الاهمية التي تعطى في المغرب الحجارة كعامل رئيسي لهي من اقدم المخلفات بالنسبة لمعتقدات شمالي افريقيا. فالدنها جيون الذين يعيشون في وادي (=) الصفصاف ويتخذون اسم اولاد الجهلاء «اولاد الوانيين» وقد اقاموا حديثا على قبور موتاهم «الصوب» اي حجارة كبيرة يقيمون حولها شعائرهم الدينية.

واما «الكراكير» المغربية فتنتمي الى هذا النوع من العبادة يقام «كركور» بمناسبة وقوع اغتيال لدلالة على ان المكان الذي وقع فيه محفوف بالاخطار ولدفع الشر يرمي كل من المارة حجارا على «الكركور» وبهذا يصون نفسه من الشر الذي كان يحوط به ثم يطلق ساقيه للريح. واما «العار» او كوم الحجارة او ما يعلق على الاشجار تقديمات تتكون عادة من سبعة احجار صغيرة اي حصيات مشدودة كلها بمسبحة او سلك. وفي قضبان حديد نافذات اشهر الزوايا الاسلامية تعلق الاحجار ملفوفة بقطع من الثوب حيث تبقى مدة من الزمان ومن بعد توخذ لتتحول الى عزيمة قوية المفعول. وفي مدينة العرائش تعلق تقديمات اخرى على المدفع الكائن

(١) يتعذر الجزم في صحة نقل هذه الاسماء والمسميات الى العربية نظرا التحريف الناجم عند الاوربيين من اخذها بالسمع ووضعها بحروف لغتهم مما يجعل اعادة بنائها في غاية الصعوبة حتى على اقرب الناس منها معرفة.

بالقرب من « برج اليهودي » وهذه التقدمات هي كناية عن حصيات مشدودة بسلك يتركها صاحبها مدة في مؤخر المدفع ثم يعود الى اخذها ليستعملها كعودة . وفي قبيلة بنى يطفت يدلك المصابون بامراض الكبد مرات متوالية بحجر كبير على شكل شحمة الاذن كائن على مدخل احد الاضرحة التي تجلب الشفاء . والدواء المعتاد استعماله ضد الجنون في قبيلة بنى يطفت كذلك يقوم على ان توخذ سبعة احجار من سبع طرق مختلفة وترشق من فوق الراس عند الظهر ساعة وصول الشمس الى السمت ولهذه الحالة الاخيرة صلة اجلال من نوع عبادة الاحرف في خرافة السبعة .

وتسمى كوم الحجارة الصغيرة التي تدل على طريق احد الاضرحة ذات الاهمية « بالنصب » . ويؤكد ر . خرنو (١) ان في مقاطعة قسطنطينة لازالت توجد عادات وثنية خصوصا عند اولاد عبدي تشمل رباعهم الاربعة : اولاد عمر بن داود وولاد علي بن يوسف وولاد مسلم وولاد مهدي وكذلك عند سكان نارا وسكان منعة الذين يقطنون المناطق الشمالية الشرقية الجبلية في وادي واد عبدي وواد عبود واشهر اعيادهم تقوم على تبديل احدى اشجار المنزل الثلاث في الارض التي تدور به . فهذه الامثال كلها تدل على العبادة القصوى للاحجار واما المصدر الاولي لعبادة الاحجار فينبغي ان يبحث عنها في افكار الدفن عند انسان العصر النيوليي الذي كان يشيد لحماية الميت مستطيلات من الحجارة مركبة من بلاط صغير مغطاة بصفائح حجرية . وتظهر طقوس الدفن بوضوح منذ العهد الموسذيني . ومن دراسة نواويس البرتغال حيث تمثل كافة النواحي التطورية فيستدل على ان الاضرحة الاولى مولفة من دائرات كبيرة من الحجارة شبيهة « بالاحواش المغربية » . وفي العصر

---

(١) ر . خرنو « عملية شق الجماجم في الاورس «الانطروبوجية »

النيوليتي الاخير تظهر النواويس في شكل ممشى ومن بعد تتحول الى ممشى مغطى (١) وقد عثر على مثل هذه المدافن التي تعود الى العصر النيوليتي في المغرب. وهذا ما هو عليه مدافن وادلو التي عثر عليها اثناء تشييد سد على طالا سنة ١٩٤١ وهي تمتد على الضفة اليسرى لودلاو في قبيلة بني حسان وتبدي هذه الميزات (٢)

الى نفس هذه الافكار تنتمي نواويس ومسائل تلك العصور من تاريخ البشرية.

وفي المغرب حسب نيسو مثل هذه الاثار التي تتعلق بالمدافن هي مثل التي يعثر عليها في الجزائر وتونس. والنواويس مثل التي في روكنيـاة ومزالة وبومرزوق في الجزائر قوامها اربعة احجار خشينة غير منحوتة مغطاة ببلاطة موضوعه افقيا. والفارق الكائن بينهـا وبين نواويس الجزائر هو ان هذه لها شكل مستطيل والمغربية لها شكل منحرف عرضه يتراوح بين ٧٥ و ٩٠ سنتيمترا. وتوجد النواويس في قمم التلال مولفة من مجموعات صغيرة وقد يعثر عليها في حياريم ودكزار وغلمان وامريس وفي الهضبـة التي تفصل حوض واد خلف عن حوض واد يوغدو وكذلك المنحدر الجنوبي لتلة عين الدالية وهكذا في منطقة حماية اسبانيا في الناحية التي تمتد بين ثلاثاء رياسنة والقصر الكبير وكرملش مزورا يوجد على مسافة خمسة كيلومترات من سوق الاثنين وتسمى «وتد» المسلة الكبيرة التي علوها يبلغ خمسة امتار. وهذه المسلة كانت حسب اعتقاد ذلك الزمان مقر الالوهية.

وفي العصور التاريخية المحضة احتفظت الشعوب السامية ومنها الفينيقية بوجه خاص بهذه العادة. وكانت الحجارة تتمتع بطقوس خاصة مختارة. وكانت هذه الشعوب

(١) خوسيه بيرث دي برادس «النواويس الاسبانية» منشـورات مجلس رعاية السياحة رقم ٢ مدريد.

(٢) بلايو كنتارو اطوري «معلومات عن الاركيلو في الموريطانية في المنطقة الاسبانية تـطوان ١٩٤١

ترمز بعمود من حجر مسمى « بنت الل » والبنت اللوس « او مسمى بوث» اي بنت الله او الالوهية.

وهكذا كان عند ما كان ينزل التجار الفينيقيون الى احدى السواحل ومعهم بضاعتهم فانهم كانوا ينصبون حالا الى جانب خيامهم الحجر الخشن الذي يقوم بعبادتهم. وكان الاله ادونيس. اله بيلوس يعبد في شكل عمود من حجر. وما زالت هذه العوائد محفوظة في كافة البلدان التي استعمرها الفينيقيون وفي امكانها ان تثبت صحة هذا الامر كما في نفس الحبشة وهي احدى البلدان التي فتحها الفينيقيون في غزواتهم التجارية. ومن جملة الجمسين مال الموجودة في ضواحي مدينة عدوى فالمال الاكثر بساطة هي نظيرة « البنت اللوس» القائمة على شواطئ فينيقية ومنها ما تعيد الى الذاكرة « الحجارة القائمة » في النيل وعليها زخارف وطنف في كثير من الحالات تدل على عبادة الشمس مثل « زهرة الشمس » وهي من الشارات التي تخول ردها الى الاثار الفينيقية. ولا ريب في ان الفينيقين هم الذين عرسوا ونشروا عبادة الحجارة.

ولكن وان كان الفينيقيون اشد الماضين في عبادة الحجارة في شمالي افريقيا فقد سبقهم الى هذه العبادة اليهود فبعض الحجارة كان قد صاغها اليهود الاولون لكائنات عجيبة تخفي قوة غريبة تنبض في اشكالها البدائية قوة الالوهة. وكان اليهود قبل بناء الهيكل يقيمون طقوسهم الدينية حول حجارة مقدسة متقنة التكويم او موضوعة على قمة اهرام او مرفوعة في وسط الحقل على شكل مال. وهذه الحجارة كانت تكون « بنت الل » اي بنت الله لانهم كانوا يعتقدون انها تصون في صدرها قوة لما فوق الطبيعة وعليها كانوا يضعون تابوت العهد او الصندوق المقدس.

عبادات طبيعية

الى جانب عبادة الحجارة تقوم في حنايا نفس المغرب عبادات طبيعية كثيرة الانتشار نخص بالذكر منها عبادة الينابيع والغيران والكهوف الخ وعلى ابواب جلها تذبح الحيوانات ذات اللون الاسود على وجه التفضيل او تحرق عناصر خاصة نباتية المصدر. ويقوم هذا الاعتقاد على الخرافة القائلة ان التربة ملك الجان تقطنها وتتخذ من الغيران مساكنا لها ولكثير من الينابيع ذات المياه المعدنية قوة على الشفاء من الامراض بفضل مفعول هذه الارواح. ولعبادة غيران «تمسدش» اهمية كبرى بارزة وان كانت لا تجري في كافة القبائل بصورة واحدة.

ومن اهم الغيران المغارة التي في سفوح مكون لشفشاون وتسمى «كهف حنة مسعودة» فيها يقال انه عاش الولي مولاي علي بن رشيد. وعلى مدخلها تحرق الاعشاب وتوضع النذور.

وفي المغرب ينابيع وبرك مقدسة المياه. وهناك اساطير عديدة منها ما يعود حتى الى العهد الاسلامي نحاول تعيين اصلها بالضبط اصلها العائد الى ما فوق الطبيعة وان كانت هذه الافكار تقوم في الواقع على معتقدات راسخة الجذور في نفس العوامل الوثنية الاولى للبشرية. ومن بين هذه الاساطير توجد اسطورة تتعلق بعين «الحوت» في تلمسان وقوامها ان احد الفتيان من اولاد سلطان تلمسان في القرن الثاني عشر مر بالقرب من العين في طريقه الى الصيد فوقع نظره على فتاة حسناء تسير مذعورة وهي حاملة جرتها جفرت في مشيتها لان وجهها لم يكن محجوبا دون ان تعلم ماذا تعمل. فترجل الامير عن حصانه وضم الفتاة بين ذراعيه وقبلها الامر الذي احمر منه وجهها كاحمرار الرمانة والقت من شدة حيائها جرتها وغطت وجهها «بالحائك» فلم ينفعها شيئا حياؤها لان الفتى كان قوي البنية واخ في اظهار لواعجه

محاولا اختطافها ارضاء لرغباته فلم يكن عندئذ من الفتاة الا ان تملصت منه والقت بنفسها في الماء حيث استحالت الى حوتة. ومن آنذاك والعين تسمى «عين الحوت» وتعتبر هذه العين مقدسة.

ومن بقايا الافضية التي تسدى للمياه هذا العيد الذي يسمى «عيد العنصرة» او «عيد الماء» الذي لازال مرعيا في المغرب رغم اسلاميته ففي هذا العيد يقصد الوف الزوار الشواطئ حيث يتجمهرون. واما سكان الجبال فيحملون الشبابات والطبول ويقصدون السواحل على الاقدام او في الزوارق وهم يعزفون على آلاتهم مقابل سكوت النساء التام.

ويعزون الماء اهمية كبرى تتعلق بمجموعة هذه الافكار والمعتقدات. وفي العقلية المغربية تتاصل كل انواع المعتقدات التي ترتكز على الوهية الماء وهكذا يوجد في مقاطعة مرفا كباس فريضة صخرية في صخور الشاطئ بالقرب من المكان الذي يقوم عليه ضريح الولي سيدي يحيى الوردانى. ففي هذا المكان تؤلف مياه البحر بركة هادئة حيث تتغطس النساء اللائي يرغبن في ان يكون لهن ذرية وهن يرددن الصلوات التي تدوم ما دمن في الماء وبعد ان يستوقفن على هذه العمليات يشعرن بانهن حوامل.

والى جانب عبادة الغيران والماء توجد عبادات اخرى لمظاهر الطبيعة كعبادة الرمال. وفي المغرب مكان ذائع الصيت بهذا الخصوص اسمه يعرف العامة «التلة القطسا» وهو كناية عن تلة رملية كبيرة قائمة بين مرفا كباس وتقسا وتبعد عن الاول ما يقرب اربعة عشر كيلو مترا ومئة متر عن الثاني.

ففي هذا المكان تظهر الطبيعة بوادعة جميلة اذ ان الشاطئ مكسو بالاعشاب ذات الاخضرار الشديد بينها بعض الاشجار الباسقة التي تضع حدا للافق ملمعة اليه في اشراقه المترامي وخط الشاطئ مع المستطيل ذي

المنعرجات اللطيفة المفصوم من حين الى ءاخر بالصخور الوعورة الساحل . يضع الحد الفاصل بين اليابسة والبحر ويشكل اطارا باهيا ينطق كل ما فيه بقوى الطبيعة الجبارة .

ففى مثل هذا المشهد ترتفع التلة على علو يتراوح بين ١٨ و ٢٠ مترا وهي النقطة التي يتوجه اليها النساء المغربيات من سكان المقاطعة اللائي ينغص عيشهن العقم . يتجمهرن بالقرب من التلة المذكورة بعد ان يلقين عصى الترحال فيشرعن في اعداد ذواتهن روحانيا مرددين صلوات طويلة لاكتساب بركة الله . وبعد ان يتم كذلك تطهير انفسهن يصعدن الى قمة التلة ومن هنالك يتدحرجن بسرعة الى السفح . ويعدن هذه العملية سبع مرات — دائما ينبغي ان تظهر خرافة السبعة — التي تنتهي بانهاك قواهن وتسبب لهن شبه اغماء بلارضوض لان طبيعة الارض رملية .

واذا ما تمت مما رسة هذه الطقوس يسرعن في الحال الى الاستحمام في البحر في الجهة المقابلة للتلة . والعقيدة متأصلة على ان السراة التى تراعى بامانةهذه العمليات تحمل بعد اربعين يوما اعتبارا من اتمامها للعمليات المتقدمة الذكر .

ففي هذه الاحتفالات ينبغى ان تلاحظ افكار ومعتقدات قديمة العهد متاصلة عند مختلف الشعوب. فالمعتقدات التى تسربت من الشرق الى شمالي افريقا وخصوصا التي كانت ما بين النهرين تسمح بالحكم على ان لهذه العبادات الطبيعية علاقة وثيقة بالتي كانت تقام هنالك . فالفيران كانت في عرف المعتقدات التى جاءت من بين النهرين موضوع اجلال وتقديس واحترام . وفدفدس سمانصا سنة ٨٥٣ ق.م. ينابيع نهر دجلة فنقش اسمه عليها وهو اول شاهد خطي محفوظ لمثل شذه العبادات. وفي المتاحف الوطنية في برلين ما زال محفوظا الثعلب البارز لتغليليبسي الاول في ينابيع دجلة في الاقليم الذى كان اسمه حينئذ نيرى (شمال ديار كيرحاليا)

وهذه العبادات لا تقتصر على المغرب طالمانبت وجودها كذلك في جنوب شبه الجزيرة الايبرية منذ عهود قبل التاريخ كما يتسنى لنا مشاهدتها في الاشياء المصورة

على صخرة الملح التي قام بدراستها جورج دوارد بونصور حيث يظهر سيلانو اله الغرف وحورية راقصين امام مغارة في احتفال ديني سحرى صرف (١). واما فيما يتعلق بعبادة المياه ففي بابل قام ارفع تمثيل ديني وهو احتفال الانتاج الذى كان يتم بواسطة النخلة المزدوجة الجنس اذ يمسك القائم بالطقوس وهو الملك الذى كان فى نفس الوقت الكاهن الاكبر وعاء فيه "ماء الحياة" بيده اليسرى. وكدليل على رتبة الماء هذه ولرسم سيادتها كذلك ولتتميز تمام سلطة الملوك كان هولاء يغطسون فى البحر اسلحة الاله اشور. فالماء عند سائر الاساطير الشرقية تمثل الحياة. ففي مصر وفى معتقداتها الوثنية لمنشأ الاله ان المصدر الاول لكل حياة وعلة وجود سائر الاشياء يقدر انه هو البداية السماة "نون" التى ينبغي ان نرى فيها تجسد الماء الرمزي كما يتضح في تفسير طلوع الشمس اليومى منبجسة بشكل طفل—هرمتشيس—من زهرة لوطو السابحة فى النون. فتوم او اتوم—احدى ظاهرات رع—الذي عبد اولا في مصر السفلى خصوصا فى هليوبولي وهو اقدم اله كان فى "المياه" في البلبلة القائمة للعالم الجنينى السابق لطلوع الشمس لاول مرة. وعقيدة الوهية الماء هذه ما زالت منذ فجر البشرية تجدد حياتها في مختلف المعتقدات الوهمية متغلغلة ومنتقلة مع الثقافات المتعددة. فهذه هى حال الاله الاقليمى "اوسيان" المعبود عند سكان الساحل الجنوبى لشبه الجزيرة وسكان موريطانيا. ولقد عثر العالم ضون بلايو كنتارو فى حفريات لوكوس على طنف قيم من البرونز يمثل الاله المذكور. وهذا الطنف يماثل الطنف الذى عثر عليه فى جزيرة سانيتى بنزى (قادس) وهذا مما يدل على عبادته في الساحل الهسبيرى.

---

(١) جورج ادوارد بونصور "الرحلة الجيلوجية على ضفاف الواد الكبير." نيويورك ١٩٣١

عيشة قنديشة

وهناك جنية تثير شديد اهتمام هي عيشة قنديشة، امرأة جميلة تغوى المارين الذكور المنفردين فيما اذا التقت بهم في اماكن بعيدة بدافع شهوانيتها التي لا يكبح لها جماح. يعتقد اهل البلاد انهم رأوها في مناسبات عديدة، وهي تستحم في غدران رقراقة المياه تعوم فوقها شعورها الحريرية الذهبية. واما جمالها فجذاب وبالاخص السحر الذي في عيونها التي تقود الى ارتكاب الفحشاء. لها جسم غض بديع الصنع واما رجلاها فهما رجلا ماعز او حمار وهي تحاول اخفاءهما بحذر بين طيات "الحايك" او ان لها — وهذا الاغلب رجلان كأرجل النساء. وجسمها جسم ماعز مع ضرعين كبيرتين متدليتين.

توجد عدة اسباب تسمح بان يفترض ان عيشة قنديشة هذه هي من مخلفات الهة الحب الفينيقية "اسطورة" فيكون اليفها حمو قبيجو الاله هيان. ويثبت هذا الامر فيما إذا اعتبرنا ان في كافة عبادات الشرق الادنى القديمة تظهر حالات مماثلة من حيث وجود الهة الحب ميزتها الاكثر بروزا في تمثيلاتها هي نمو ثدييها نمو اخارقا وسندهما بيديها. وكانت تمثل اسطار الهة بابل اخت شامش كالهة المشرور، عريانة وهي تسند ثدييها بيديها وان المنحوتات التي تعرفها "لاسطار" تدل على طبيعة انوثية قوية البروز الى حد الشطط في صدر كبير وورکين عريضتين وفقا للذوق الشرقي. وهذا ما هو حاصل تماما في حالة عيشة قنديشة المغرب. واسطار كعيشة قنديشة تجسد الفسق وفي عباداتها كانت تقام اعياد لم يكن لمجونها وتهتكها قيدا وحد. وفي اشوريا كانت الالهة بعلات وهي احدى الهات اسطارطه المحلية تمثل بنفس التمثيل "ولما" نفس المعنى والمغزى.

وهذه الاسطورة لا تقتصر على منطقة حوض البحر المتوسط حيث انه في الهند تظهر اخرى مماثلة كما هو شان الالهة نيرتي التي ترمز الى الشهور. ففي سائر ثقافات

البحر المتوسط .اثـار لهذه الشخصية الوهمية كثيرة الشيوع وقد اتضح ذلك في مصر قبل عهد العائلات المالكة (باداري) ومالطة (هال سفليانى وهال ثرثيان) واسبانيا (تمثيل الاليثاراكى) الخ وفي شمال افريقيا في هوغرت لدينا تمثال لمراة ضخمـة الجسم عارية عثر عليه في قبر تنهنـان في واد الاطلس له مغزى مماثل. وتوجد صور اخرى لثقافات حوض الدنوب لها عـلاقة بما تقدم مع انها تنتمي الى مجموعة اخرى (١) فشخصية عيشة قنديشة المهمة ينبغى ان نربطها باثار سلطـة الاحومة الواضحة التى تبدو عند السكان الاميين الافريقيين في وقتنا الحاضر. وفي العادات الوثيقة الصلة بسلطة الاحومة وارتكاب الفحشاء العادي عند فتيات اولاد نايل.

انتهـــى

(١) جورج بوسون " دراسة " لغوية وسـلاليـة وما قبل التاريخ " باريس سنة ١٩٣٤ . ادوار وسترماك " بقايا وثنية في الثقافة المحمدية " باريس.

obeikandl.com

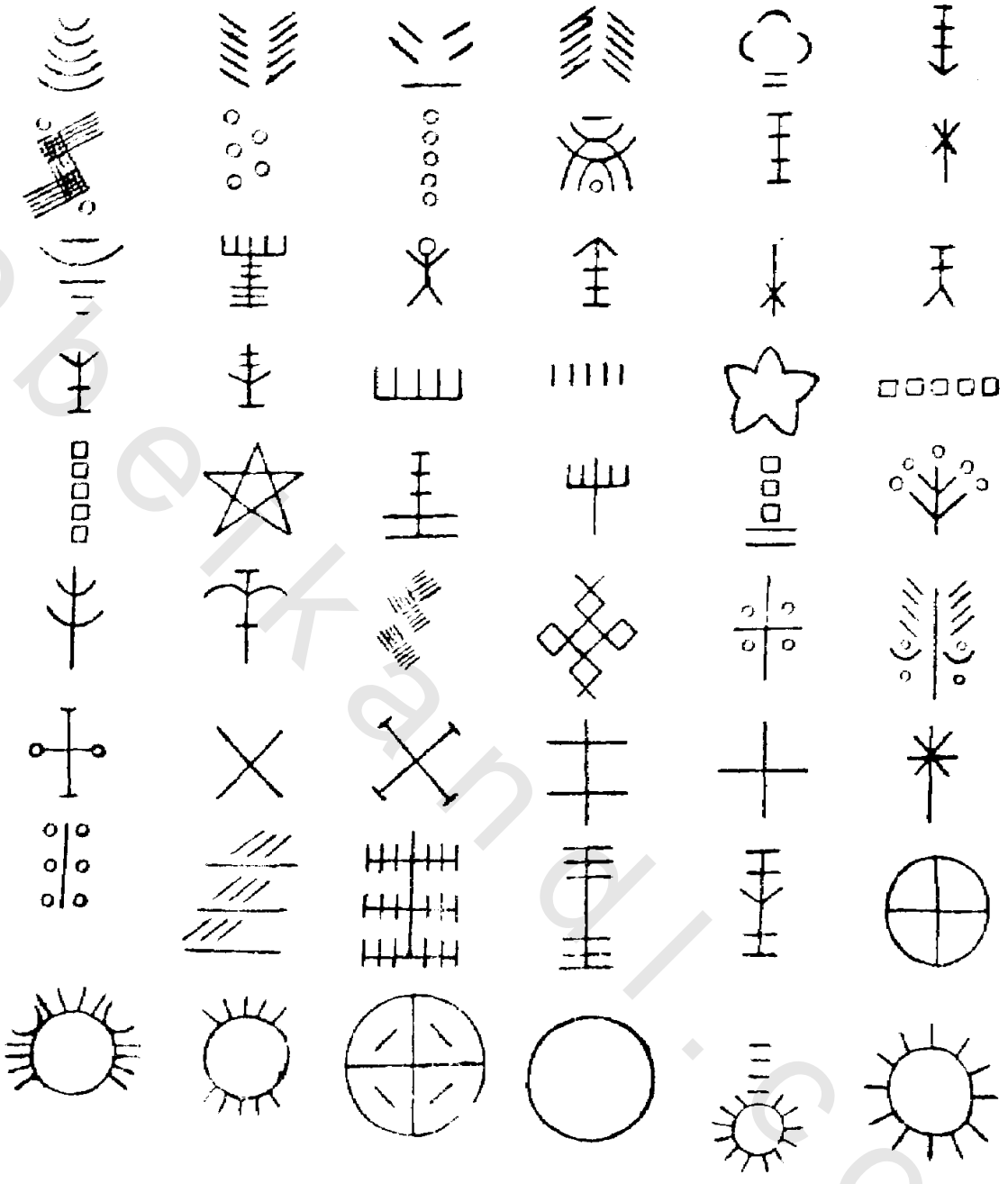

نماذج من الوشوم المغربية

يمثل الانموذج الرابع والثلاثون والسادس والثلاثون خرافة الخمسة. والانموذج الرابع والثلاثون مركب من صنف الخرافة مع عبادة الشمس. وتنتمي الى الانموذج الصليبي الشكل مع مغزى مماثل النماذج الاتية 35، 37، 38، 39، 40، 41. والنماذج السبعة الاخيرة هي لعبادات الشموس الدائرية. والانموذج 15 لشكل الانسان هو في نفس الوقت

openkanal.com

يدل على خرافة الخمسة. وتدل على خرافة السبعة النماذج الاتية 42، 43، 44، 45، 46، 47 والانموذج 49 مشابه التمثيل الشمسي الذهبي عند الانكس البيروسن الذى يظهر في الشكل رقم ١ وهو في نفس الوقت يدل على خرافة الخمسة. واما الرابع والثامن والثالث والثلاثون فله شكل منعرج من اصل العصر المغدالانى.

obeikandl.com

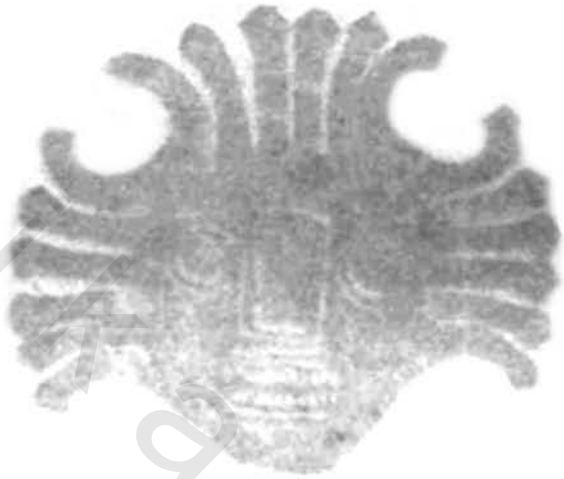

الشكل رقم 1.— تمثيل شمسي
ذهبي للانكس ظاهر الشبه بانموذج
الوشم رقم 49 من اللوحة رقم 1.

obeikandl.com

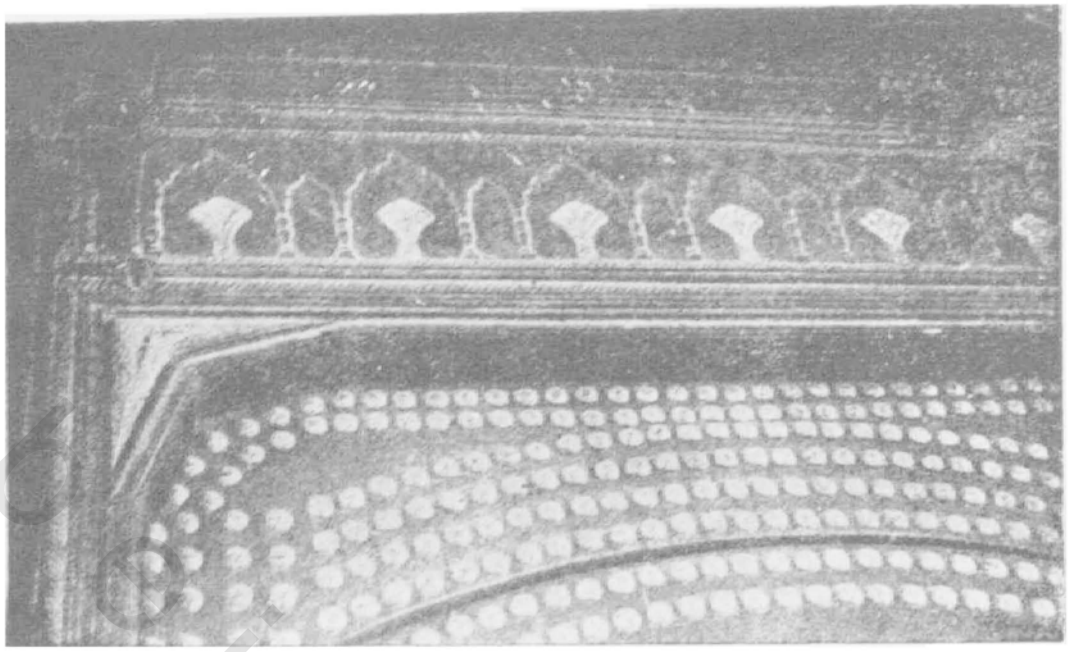

الشكل رقم 2.— زهرات كبيرة ذات خمسة فروع في عتبة احدى الابواب في تطوان.

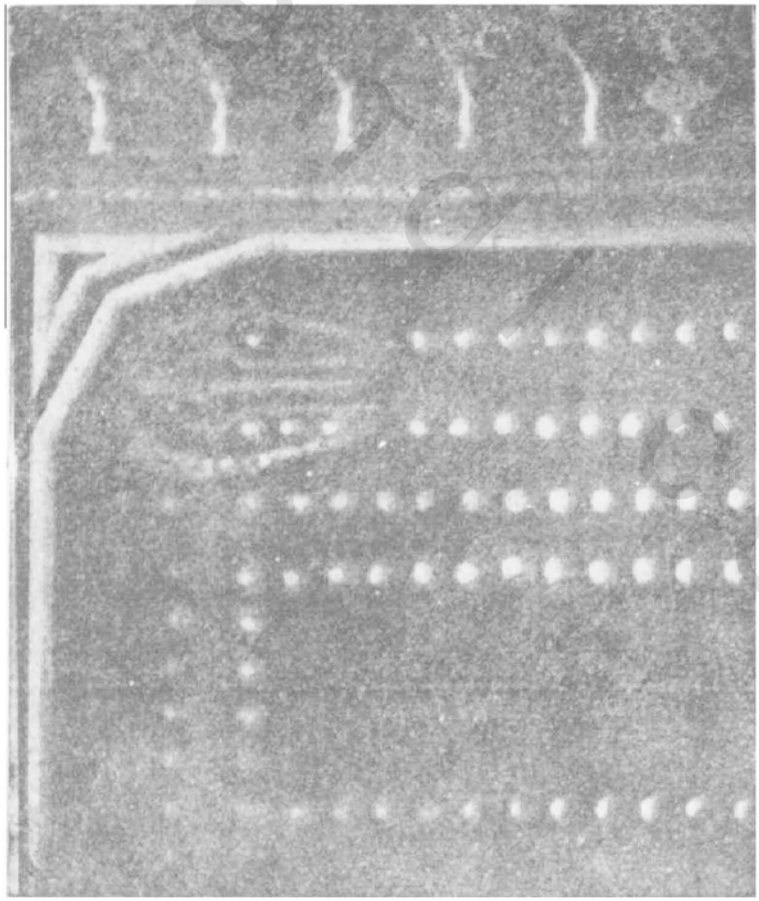

الشكل رقم 3.— زهرة كبيرة ونعلة في الزاوية الشمالية العليا.

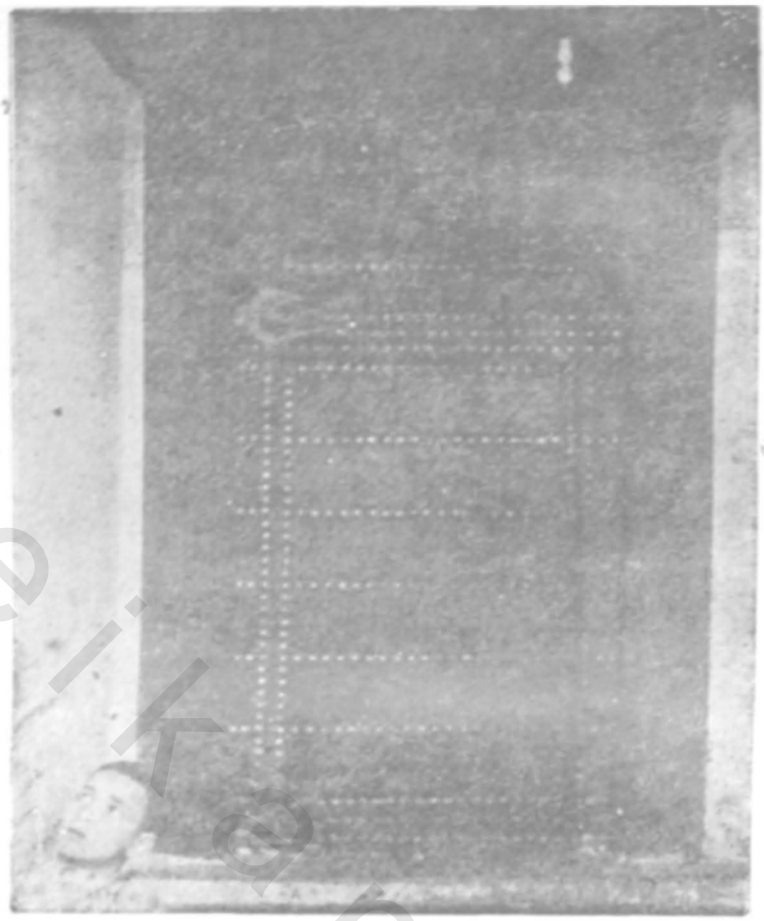

الشكل رقم 4.— باب ذونعال في الزوايتين العليا والسفلى من الشمال.

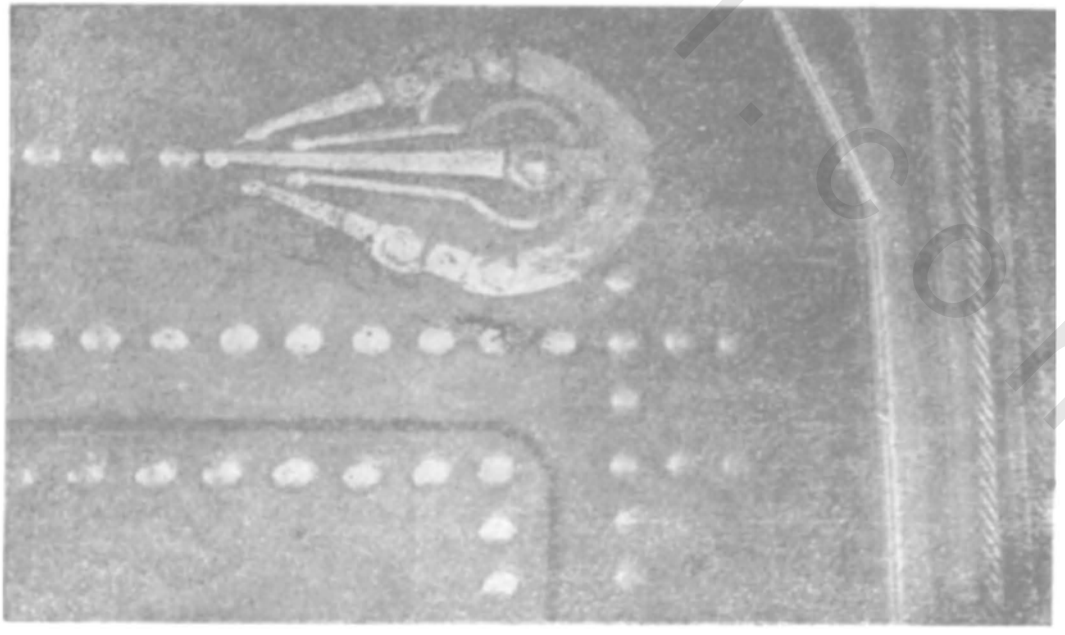

الشكل رقم 5.— نعلة في الزاوية العليا من اليمين.

obeikandl.com

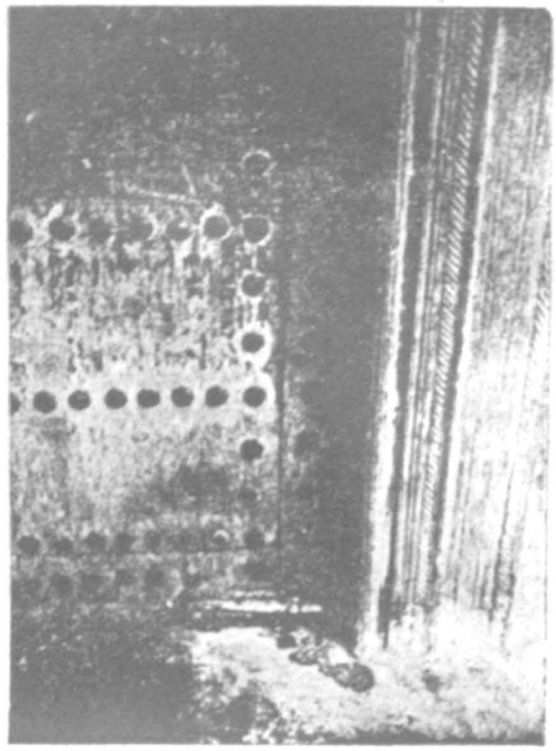

الشكل رقم 6.— نعلة في الزاوية اليمينية السفلى.

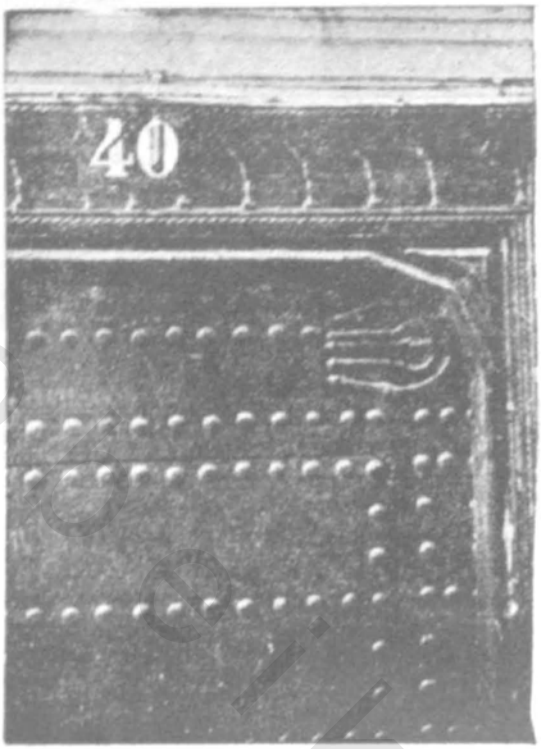

الشكل رقم 7.— نعلة في الزاوية اليمينية العليا.

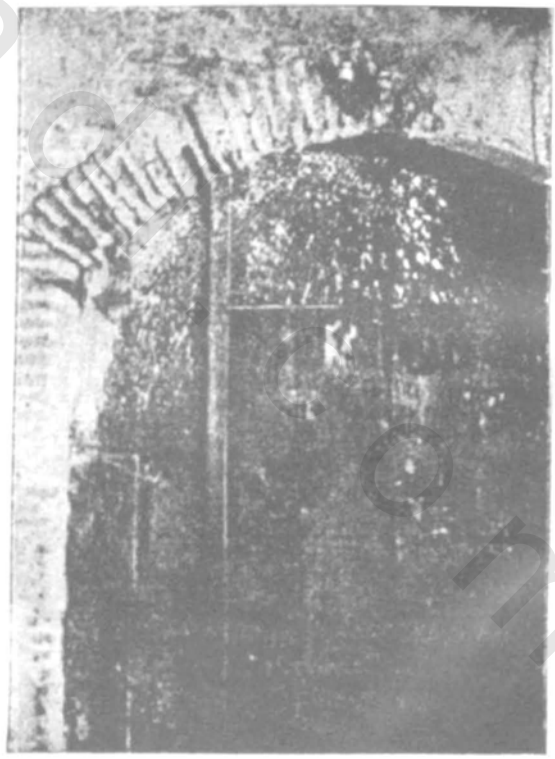

الشكل وقم 8.— مشط ذو خمسة فروع مطبوع بالحناء على احد الابواب وهو شبيه بالوشم عدد 21 من اللوحة

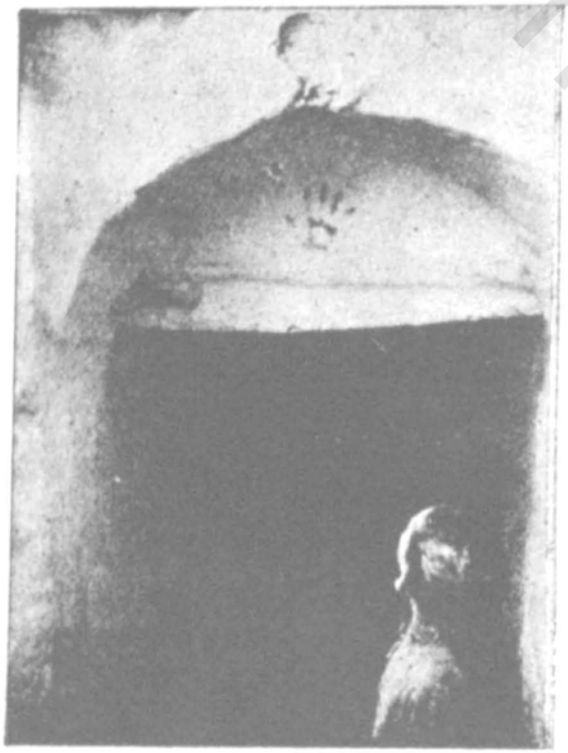

الشكل رقم 9.— يد مطبوعة في الحناء على باب احد المنازل التطوانية.

La versión árabe ha sido hecha por NAYIB ABUMALHAM, del Gabinete de Traducciones de la Delegación de Asuntos Indígenas.

obeikandl.com

INSTITUTO MULEY EL-HASAN

ETNOLOGIA DEL NORTE AFRICANO

Por JULIO COLA ALBERICH,
Profesor de la Universidad de Madrid, Jefe de Sección del Instituto «Bernardino de Sahagún» de Antropología y Etnología del Consejo Superior de Investigaciones Científicas.

Conferencia pronunciada el día 31 de Marzo de 1947 en el Paraninfo de la Delegación de Educación y Cultura en Tetuán.

TETUAN, 1948

ARTES GRÁFICAS BOSCA-LARACHE

obeikandl.com